الخروج من دائرة الخطر

الدكتور كلوفيس مقصود

في الذكرى العاشرة للثورة الفلسطينية يمكننا ان نجزم — وان كان التحليل التاريخي لا يسمح بالجزم القاطع — ان اسرائيل اصبحت في بداية عملية التراجع والتقهقر ، في حين ان القضية الفلسطينية دخلت في حيز تحقيق الانتصار . هذا لا يعني بالطبع ان اسرائيل لن تحقق بدورها بعض الانتصارات وتعرقل وتبطيء سرعة التقهقر ، كما ان هذا لا يعني ايضا ان القضية الفلسطينية ستكون بمنأى عن الانتكاسات المرحلية والطارئة . لكن ما تم حتى الان هو ان التآكل الفكري والفلسفي بدأ ينهش في صميم العقيدة والكيان الصهيونيين ، بينما اخذ النضوج والتكامل يميزان فكر وتصور الثورة الفلسطينية .

بمعنى آخر يمكننا ان نؤكد ان القضية الفلسطينية صارت ، من حيث مصيرها ، بمنأى عن الخطر الحقيقي ، في حين ان الصهيونية — واسرائيل — دخلت في طور التشكيك بالذات ، وهو الطور الذي يتم تغطيته ولو آنيا بعمليات عدوانية مستشرية من شأنها تكثيف الغشاوة على بصيرة من تدعي اسرائيل انها حل جذري ونهائي لازمتهم وقلقهم — اي يهود العالم . واذا اردنا تحديدا اوضح يمكننا الان ان نقرر بأن تقلص الحجم المعنوي والسياسي والديبلوماسي لاسرائيل دوليا ليس سوى نتيجة حتمية لتبلور وزيادة حجم القضية الفلسطينية في وجدان وقناعات العالم ، يضاف الى ذلك ان اسرائيل اليوم تتصرف وكأنها تدخل معركتها الاخيرة في حين ان العرب بدأوا — فقط — يشعرون ويتصرفون وكأنهم داخلون في معركتهم الاولى الحقيقية بأهداف واضحة ومرحلية محددة نحو الانتصار الكامل .

قد يكون هذا الوصف مزيجا من التقييم الموضوعي والشعور بالتفاؤل . الا ان الاحداث التي مرت بالقضية الفلسطينية في الاشهر الاخيرة — وحتى في الاسابيع القليلة الماضية — التي جاءت عشية هذه الذكرى العاشرة ترجح التفاؤل كحصيلة للتقييم الموضوعي . اي ان ما كان يمكن ان يعتبر عنصرين من عناصر التحليل جعلتهما الاحداث يمتزجان في نتيجة واحدة .

صحيح ان التفاؤل المستقبلي يلازم كل ثورة اصيلة منذ نشأتها . فالثورة لا تكون ثورة ما لم تقم بما هو أكثر من تمرد على واقع مرفوض . الثورة **تمرد وتنظيم وعمل وتصور** . ولا بد ان تتفاعل كل هذه العوامل حتى تستكمل الثورة معطياتها . ومع ان عاملا قد يطغى في مرحلة معينة على العوامل الاخرى او يكون أكثر انكشافا ، الا ان تفاعل هذه العوامل بالنسب المطلوبة في مراحل معينة من شأنها تأمين شروط **استمرار** الثورة وتوسع رقعة فعاليتها . من هنا تصبح النزعة التفاؤلية كامنة في كل ثورة اصيلة لان نمو اطرها ونضوج مقدرتها على التنظيم ومجابهة التحديات واستمرار وضوح الرؤيا والتصور تغطي للعناصر البشرية التي تتشكل منها الثورة الثقة بالقدرة الذاتية والتفاؤل بالمستقبل .